

قمة الناتو «ريفا-٢٠٠٦» ..مهائير التشاؤم والتفاؤل حول مستقبل الحلف

محمد عبدالخالق

■ لم تفلح كلمات المصمود والتماسك وإبداء مشاعر التضامن والتفاؤل تجاه المستقبل في إخفاء علامات التأزم التي

تكتنف علاقات اعضاء الناتو والتي ظهرت في قمتهم الاخيرة اكثر من ذي قبل . ففي خطابه امام قمة ريغا لقادة حلف شمال الاطلنطي (ناتو) ٢٨ نوفمبر الماضي ناشد الرئيس الاميركي جورج بوش اعضاء الحلف ان يدعموا القوات العاملة في افغانستان بمزيد من القوات (القتالية) ذلك في الوقت الذي اصررت فيه المانيا على رفضها تلبية هذا الطلب الاميركي، حيث قالت انغيلا ميركل المستشارة الالمانية ان بلادها لا تزال على رفضها السابق رغم ابداء مساعدتها مما اعتبرته استعدادا من جانب الناتو للتعاطي مع الشأن السياسي في افغانستان.

وكان هوب دي شيفر امين عام حلف الناتو قد اكد على ضرورة ان تكون صريحين تجاه المخاطر التي تحدد بقوات الحلف في افغانستان لكنه اردف قائلا: علينا ايضا ان نتجنب اعطاء صورة مأساوية لحجم الصعوبات التي تواجه قواتنا في افغانستان.

وكان قد سبق لهوب دي شيفر ان اكد على ضرورة ان يتعامل الحلف مع الصين لمواجهة متطلبات الأمن والسلام الدوليين. اما وزير خارجية كندا فحذر من ان الدعم الداخلي في بلاده لاستمرار القوات الكندية في افغانستان قد يتلاشى اذا لم تتحسم دول اخرى لمساعدة القوات الكندية في المناطق الجنوبية المضطربة من افغانستان رغم ان السلطات الكندية اكدت على ان قواتها باقية في افغانستان حتى عام ٢٠٠٩.

وفي محاولة لاقتناع كافة اعضاء الحلف بدعم مهمة الناتو في افغانستان عاد شيفر ليؤكد ان المهمة سوف تنجح ، ومن ثم حث دول الحلف على الا تفقد الأمل في هذا النجاح على الرغم من تصاعد المقاومة التي تبديها قوات طالبان والتي تمخضت عن ضحايا كثيرين تتصاعد اعدادهم بسرعة في اوساط قوات الناتو العاملة في افغانستان.

ولدعم رؤيته تلك اكد شيفر مجدداً آماله في ان يشهد مطلع العام ٢٠٠٨ تنامياً ملحوظاً للقوات الافغانية لتتمكن من تسلم مقاليد الامور الامنية بشكل شبه كامل.

اما فيما يتعلق بالشرق الاوسط فقد اكد الرئيس الاميركي جورج بوش على ضرورة التعاون من اجل مواجهة الازهاج. لكن بالنسبة لنا نحن الوفود الاعلامية القادمة من الشرق الاوسط كان لا بد ان نعرف اين موقع منقطتنا من مساجلات قمة ريغا، فقد تجنب المتحدثون من رؤساء وممثلي دول الحلف اي حديث عن ازيمات مثل القضية الفلسطينية، فيما يعطى الانطباع بان الامر متروك لقرار اسرائيلي يليه تحرك ما من جانب الحلف لتبني هذا الموقف، وقد أُلح مندوب الاعلام الاسرائيلي في المؤتمرات الصحفية التي انعقدت على هامش القمة في القاء سؤال محدد حول موقف الحلف من احداث قطاع غزة ، لكن كان دائماً يتلقى الاجابة ذاتها وان كانت تأتي على لسان مسؤولين مختلفين .

ففي اول ايام القمة وبمجرد انتهاء الاجتماع الذي ضم رؤساء الحلف القى المندوب الاسرائيلي السؤال على الناطق الرسمي باسم الحلف فكان جوابه انه لا يملك معلومات محددة في هذا الشأن، وفي المؤتمر الصحفي الذي عقده امين عام حلف الناتو هوب دي شيفر تم القاء نفس السؤال من نفس المصدر فكانت الاجابة من شيفر هي ذاتها التي اعلنها الناطق الرسمي للناتو قبل يوم مضى. وبدوري حاولت ان افهم ذلك التجاهل المتعمد لقضايا الشرق الاوسط. باستثناء العراق الذي يشكل نقطة حساسة للولايات المتحدة خاصة .

لقد كان التركيز على قضايا اخفاق قوات الحلف في افغانستان والعراق ايضا معطيا الانطباع بأن الحلف يمر باكثر اللحظات حرجا في تاريخه فقد اصر الرئيس الاميركي جورج بوش في كلمته بالقيمة على المطالبة بمزيد من الصلاحيات للقوات المتواجدة في افغانستان لاستخدام القوة بينما ارتأت اطراف اخرى مثل المانيا ضرورة التعاطي مع القضايا السياسية واعادة الاعمار بصفتها تحتل اولوية للتخفيف من الانطباع العدواني للحلف واعطاء بصيص أمل للافغان بان الحكومة الجديدة المدعومة من الغرب تمتلك بعض مبررات البقاء وتستحق التأييد، لكن إعادة البناء توقفت عند حد المصطلحات الانشائية دون وجود برامج عمل او آليات تنفيذ محددة في هذا الشأن، وهو الامر الذي يعطي مزيدا من الانطباع بان سياسة الولايات المتحدة داخل الحلف ترغب في الابقاء على الدور القتالي والقتالي فحسب في أنشطة الحلف، ومما لا شك فيه ان قادة (الاطلنطي) الاخرين يفتكرون في يوم ينتهي فيه السير التلقائي وراء مغامرات اليمينيين الجدد في واشنطن دون تفكير في العواقب، فقد نهض ميثاق منظمة حلف شمال الأطلسي منذ قيامها عام ١٩٤٩ على احترام ميثاق الامم المتحدة وحظر الهجوم الاستباقي في الدفاع عن النفس او تنفيذ أية عمليات عسكرية وقائية باعتبار ان مهام الحلف كمنظمة اقليمية هي الدفاع الجماعي لأعضائه عن اوطانهم ولكن واشنطن تريد تغيير هذه الأسس بعد احداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ .

وحين ضغطت واشنطن على برلين للمشاركة العسكرية في العمليات الدولية كانت موافقة البرلمان الالماني على ذلك قائمة على اساس المساهمة في عمليات غير قتالية، لكن الذي دار في قمة ريغا ما هو الا محاولة لمزيد من الضغط على المانيا لتنفيذ اعمال عسكرية والتزام مباشر بوقوع الكثير من الخسائر في صفوف المدنيين الأفغان والجنود الالماني على السواء، وهذا يشكل مخالفة واضحة لميثاق قيام الحلف مما ادى بالمستشارة الالمانية انغيلا ميركل الى التأكيد مجددا في القمة بانها لا مجال لتغيير موقف المانيا الرافض لقيام قواتها بأية اعمال عسكرية في جنوب افغانستان.

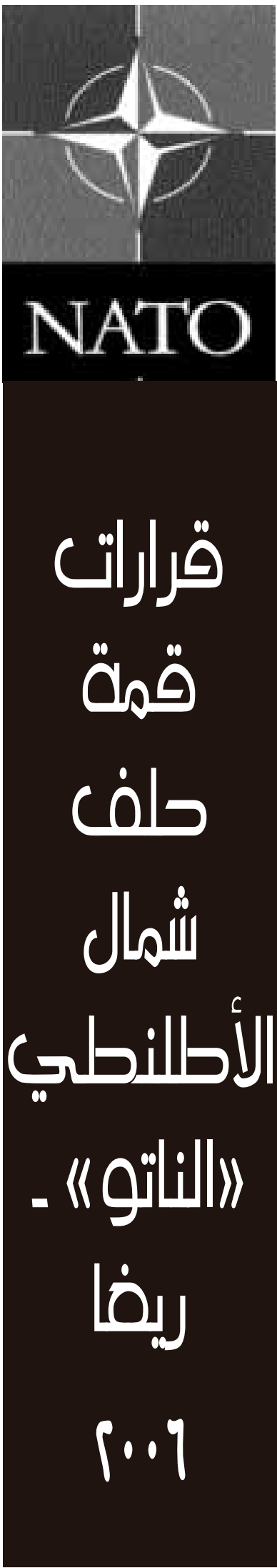
لقد حقق الحلف نجاحات في البلقان بالنسوية التي تمخضت عن معاهدة دايتون بعد كصف مواقع قوات الجيش الصربي الذي ارتكب فظائع ودعمت اهراب الصرب ضد مسلمي البوسنة، لكن البلقان يقع في قلب اوربيا ويمكن تفسير تدخل الناتو عسكريا فيه انه عمل مشروع لتحقيق الأمن الأوروبي، لكن في افغانستان وسط اسيا فان الامر يخالف جذريا، وهنا موطن التنافر بين الرأي الأوروبي والرأي الاميركي الذي لا يكثر كثيرا بالمواثيق الدولية ويلجأ دوما الى تبرير خرقه لقوانين الامم المتحدة بأن من حق واشنطن وحلفائها تنفيذ ضربات وقائية لحماية أمنها وهو تعبير فضفاض يفتح المجال لانتهاكات كثيرة في شأن حقوق الانسان الأساسية.

في قمة ريغا كان للعقل الأوروبي دور واضح في كبح جماح العضلات الاميركية المنفلتة من كل عقال، وزادت حالة التعتف الاوروبي والرغبة في كبح العضلات الاميركية عقب إخفاق الجمهوريين في الانتخابات النصفية للكونغرس خلال نوفمبر الماضي، حيث تعتبر نتائج الانتخابات اقتراعاً اميركيا واضحا على رفض الخطط العسكرية التي ينفذها الجيش الاميركي خارج حدود الولايات المتحدة الاميركية.

وكانت الاطراف الأوروبية في حلف الناتو احوج ما يكونون الى هذه (القشة) التي قصمت ظهر البعير الجمهوري الاميركي في اروة قمة ريغا لقادة حلف شمال الأطلسي لعام ٢٠٠٦ .

تبقى نقطة لم يلفت اليها احد خلال قمة ريغا وهي تتمحور حول اسباب اختيار العاصمة اللاتفية كمقر لقمة الناتو هذا العام ومن ثم لم يفوت احد اعضاء الوفد الاعلامي العماني الى القمة هذه الفرصة بتوجيه السؤال الى الناطق الرسمي باسم الناتو عن طبيعة العلاقة بين الناتو وروسيا حاليا، وقد أربك السؤال جو المؤتمر الصحفي، حيث كان من الواضح ان ثمة رغبة في اوساط الناتو لتجنب الابداء بتأزم العلاقة بين الناتو وروسيا وهو الشأن الذي قد يكون سببا في اختيار ريغا كمقر للقمة باعتبارها كانت جزءا من الاتحاد السوفيتي المنهار ثم لحقت بركب حلف شمال الاطلسي لتشكل موطناً متقدما في مواجهة العقيلة مع روسيا، لكن في كل الاحوال فقد قامت لاتفيا بدورها بنجاح في تنظيم رائح لأعمال القمة مما أكسبها والشعب اللاتفي ثقة كبيرة في المنظر الاميركي والعالمي فضلا عن الانتعاش الاعلامي والاقتصادي الذي واكب عملية التنظيم الناجح لأعمال القمة واستحقت لاتفيا بذلك ان تكون المتفائل الوحيد بعضوية الناتو ومستقبله، اما اعضاء الآخرون من الأوروبيين فيظنون نهبا للقلق حول مستقبل الحلف بسبب النزعات العدوانية الاميركية المتنامية داخل الحلف وخارجه.

كلمة أخيرة ربما تعطي ضوءاً أوضح حول تكرار الولايات المتحدة على لسان مسؤوليها للمصطلح (المجتمع الدولي) حينما تكون هي راغبة في عمل شيء ما يخدم مصالح ساستها، وتتركز هذه الكلمة حول العلاقة ثنائية الاطراف لنفي احقية الولايات المتحدة بالحدث نيابة عن المجتمع الدولي، الطرف الأول في ثنائية النفي هو حلف الناتو أو بالأحرى الاوروبي في الحلف كما اتضح في قمة ريغا، والطرف الثاني هو الخطابات والكلمات التي القيت من على منبر الجمعية العامة للامم المتحدة في شأن العدوان الاسرائيلي المتواصل على الشعب الفلسطيني وارضيه وحقوقه الثابتة غير القابلة للتصرف، وهي الكلمات التي القيت تعقيبا على تقرير الامين العام للامم المتحدة حول القضية الفلسطينية ومذبحة بيت حانون تحديد. لقد كان الموقف العام في قمة ريغا وكذلك الموقف الحاسم للأغلبية الدولية في الجمعية العامة يقف في صالح الحفاظ على حقوق الشعوب المضطهدة والمقهورة بسبب غطرسة الولايات المتحدة والدائرين في فلكها، ومن ثم فقد أن الأوان لتتوقف أديبات السياسية الاميركية بشكل مطلق عن استخدام مصطلح (المجتمع الدولي) كبديل لمصطلح (المجتمع اليميني الاميركي المتطرف) في واشنطن وهذا المصطلح الاخير هو الأدق والأحرى بأن يحل محل مصطلح (المجتمع الدولي) في أي خطاب سياسي اميركي معاصر، لا يستند الى اي شرعية شعبية (من خلال نتائج الانتخابات النصفية) او دولية (من خلال ثنائية النفي التي أوردناها). وعلى المجتمع الدولي الحقيقي الممثل في اعضاء الجمعية العامة للامم المتحدة والغالبية العظمى الأوروبية في حلف الناتو ان يدافعوا عن حقهم في احترام المصطلح والمطالب الاميركية المجحفة التي تطرح تحت لوائه، خاصة في ظل مستقبل تؤكد علامته ان القضايا العادلة لضحايا مسيرة الظلم الدولي الراهن بقيادة واشنطن في طريقها الى تحقيق انتصارات ملموسة تعطي تفاؤلاً نسبياً حول قرب أقول مسيرة الافك والبهتان التي يمضي فيها الجمهوريون الجدد تحت عنوان (مطالب المجتمع الدولي) فالعدالة وصدق التوجه والبوصلة الحقيقية لرأي المجتمع الدولي ممثلة في ترتيب عضوية الناتو والجمعية العامة للامم المتحدة باعتبار ان لكل دولة عضو في المنظمين صوتا مساويا للآخرى بغض النظر عن حجم الدولة او قوتها وهنا يتمثل المعيار القانوني والانساني حق التمثيل بعيدا عن حقوق النقض الجائرة الممنوحة لبعض اعضاء دون البعض الآخر في مجلس الامن الدولي، الذي اتخذته الولايات المتحدة كمسرب وحيد لتنفيذ نواياها الذاتية رغم انف الغالبية العظمى من بني البشر في العالم ■



قرارات قمة حلف شمال الأطلنطي «الناتو» - ريفا ٢٠٠٦

تأسس حلف شمال الأطنلطي في العام ١٩٤٩ كمنظمة إقليمية لحفظ الأمن في فترة أعقبت الحرب العالمية الثانية المدمرة والتي كان من الضروري معها أن يحدد الحلف أهدافه وموضعه على الصعيد العالمي. سياسياً، ساعد الحلف على توحيد الغرب وعمل كمنقطة ارتكاز في مواجهة حلف وارسو. وعسكرياً، عمل الحلف كمنظمة دفاعية متكاملة تشكلت في ظروف وبيئة معينة سادت العالم. لقد كانت المهمة الأساسية للحلف في زمن الحرب الباردة هي الحفاظ على توازن القوى.

شاركنا اثنتا عشرة دولة في تأسيس الحلف قبل أن يتوسع ليضم ست عشرة دولة خلال الحرب الباردة مع انضمام كل من اليونان وتركيا في العام ١٩٥٢ ثم انضمام ألمانيا الغربية السابقة وإسبانيا في العام ١٩٨٢، ثم تنامي عدد اعضاء الحلف بعد سقوط الاتحاد السوفيتي وضم عددا من الدول التي انفرطت عنه حتى وصل عدد اعضاء الحلف اليوم الى ٢٦ دولة بينها لاتفيا التي اختيرت عاصمتها (ريغا) لتحتضن القمة الاخيرة للحلف والتي التأمّت واوخر الشهر الماضي.

مرحلة ما بعد الحرب الباردة – توحيد أوروبا: برغم الأساس العسكري الذي قام عليه الحلف، إلا أنه تحول بعد الحرب الباردة إلى قوة سياسية مهمة لعبت دوراً محورياً في حفظ الأمن والاستقرار حول العالم في أعقاب انهيار الاتحاد السوفيتي السابق في العام ١٩٩١، والتي كانت الإشارة الأهم لنهاية مرحلة الحرب الباردة. ورحب الحلف بتوحيد الألمانيتين وساهم في وضع حد للحروب التي اجتاحت منطقة البلقان وفتح ابوابه لدول حلف وارسو السابق.

ويمكن الحلف من التكيف سريعاً مع الموقف الجديد في العالم. في العام ١٩٩١، وضع الحلف الخطوط العريضة الأساسية لتحركه المستقبلي والتي ارتكزت بالأساس على تشكيل شراكات مع بلدان وسط وشرق القارة الأوروبية. قد لا تكون المرحلة الخامسة لتوسيع الحلف الأخيرة. في هذه المرحلة، ستضم كل من ألمانيا وكرواتيا وجمهورية مقدونيا اليوغسلافية السابقة.

ما الأهمية التاريخية التي اكتسبتها قمة حلف شمال الأطنلطي التي عقدت في العاصمة اللاتفية ريغا ٢٠٠٦؟ لقد ركزت قمة حلف شمال الأطنلطي الأخيرة في ريغا على تقييم الأجندة الأمنية العالمية من منظورات عسكرية وسياسية، وليس على التوسع أو التضامن بين الدول الأعضاء كما جرت عليه العادة في القمم الاعتيادية السابقة. وبشكل خاص، اشتملت قائمة الموضوعات الأساسية التي تمت مناقشتها خلال القمة على الأجندة الأمنية عبر الأطنلطي وتطوير علاقات الشراكة التي تجمع الحلف بشركائه.

ويمكن تلخيص المهمة العالمية التي يضطلع بها الحلف في تطوير بيئة من الاستقرار والأمن حول العالم. إعلان ريغا الصادر عن قمة أعضاء حلف شمال الأطنلطي (الناتو)

في العاصمة اللاتفية نوفمبر ٢٠٠٦ . فيما يلي الإعلان الصادر عن رؤساء الدول والحكومات الأعضاء في حلف شمال الأطنلطي خلال قمتهم التي عقدت يومي ٢٨ و٢٩ من نوفمبر الماضي



١. نؤكد نحن رؤساء الدول والحكومات الأعضاء في حلف شمال الأطنلطي في اجتماعنا في ريغا على تصميمنا على مواجهة تحديات القرن الحادي والعشرين والدفاع عن شعوبنا وقيمنا المشتركة. مع الحفاظ على سياسة الدفاع المشترك التي كانت ولا تزال الهدف الرئيسي من وراء وجود هذا التحالف. تشترك بلداننا الست والعشرون الأعضاء في

الهدف في تبني الديمقراطية وحرية التعبير وسيادة القانون والإيمان بالمبادئ والأهداف الواردة في ميثاق الأمم المتحدة.

٢. يعد مبدأ توحيد السياسة الأمنية للمتخالفين أساسياً على خلفية الوحدة التي تزيد الدول الأعضاء قوة من خلال مواجهة التحديات المختلفة معاً. واليوم، وفي هذه البيئة التي يمثل الأمن فيها عاملاً أساسياً، فإننا نواجه تهديدات معقدة ومختلفة المصادر كالإرهاب الذي يتصاعد حول العالم مهدداً الأمن العالمي وانتشار أسلحة الدمار الشامل والوسائل التي يمكن استخدامها لإطلاقها. إضافة إلى تحديات ناتجة عن الضعف الذي أصاب بعض الدول.

هذه الأعباء تضيف أعباء إضافية على الأعباء التي يتحملها حلف شمال الأطنلطي كمنتدى رائد للتشاور الأمني بين المتخالفين من أميركا الشمالية وأوروبا. كما تلقي هذه الأعباء الضوء على أهمية العمل المشترك في مواجهة هذه التهديدات، ومن أهم آليات هذا العمل المشترك عمليات التدخل السريع تحت مظلة الأمم المتحدة. كما تؤكد على أهمية الاستقرار في نقل قدرات الحلف والعلاقات، وهو ما يشتمل على العمليات والمهام التي يضطلع بها، والاستمرار بقوة في تطوير هذه القدرات والتقارب أكثر من شركائنا من الدول والمؤسسات الأخرى.

لقد صادفنا اليوم على الدليل السياسي الشامل الذي يوفر إطار العمل والتوجه السياسي المشترك للحلف، والذي على أساسه ستتم متابعة عمليات نقل المهام لفترة تتراوح بين عشر وخمس عشرة سنة مقبلة، كما يحدد القضايا الخاصة بأولويات التحالف، وأسس التخطيط والعمليات الاستخباريّة.

٣. تمتد عمليات الحلف من أفغانستان إلى البلقان ومن البحر المتوسط إلى دارفور في ست مهام على درجة عالية من الأهمية والخطورة في ثلاث مناطق جغرافية مختلفة حول العالم تقوم فيها قواتنا بتوفير السلام والأمن جنباً إلى جنب مع الذين يدافعون عن قيمنا المشتركة من ديمقراطية وحرية كما هو محدد في معاهدة واشنطن. كذلك نعمل بالاشتراك مع شركائنا من الدول الأخرى في هذه المناطق التي يصل فيها عدد أفرادنا وممثلي شركائنا إلى أكثر من مائة وخمسين ألفاً، كما تقدم تعاطفنا الشديد لأسر وعائلات من سقطوا بين قتيل وجريح خلال هذه العمليات.

٤. إننا نقف بقوة إلى جانب الرئيس حميد كرازي والشعب الأفغاني الذي يسعى لبناء دولته المستقرة الديمقراطية بعيداً عن الإرهاب والإنتجار بالمخدرات والخوف والحفاظ على أمنه الداخلي وأمن جيرانه. لقد حقق الأفغان الكثير على مدار الأعوام الخمسة الأخيرة حيث أصبح للبلاد مؤسساتها الدستورية المنتخبة بطريقة ديمقراطية ويجري العمل في تنفيذ مشروعات إعادة الإعمار في مختلف مناطق البلاد بغرض تحسين مستويات معيشة الملايين من مواطني هذا

